ذكر العيون
في
القرآن الكريم

د. زينة محمد السبتي

ذكر العيون
في
القرآن الكريم

محفوظة جميع الحقوق

اســـم الكتاب : ذكر العيون في القرآن الكريم
تـألـيـــف : د.زينة محمد السبتي
القطـــــــع : ١٤,٥×٢١
عدد الصفحات : ١١٣

طبع - نشر - توزيع
العراق - بغداد - شارع المتنبي
(00964) 7702697982
(00964) 7715668409
ali_hadi2@yahoo.com

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
لسنة ٢٠١٣

المحتويات

الاهداء	٧
شكر وتقدير	٩
المقدمة	١١
الانسان والحيوان في القران الكريم	١٥
نعمة البصر	٢٢
كيف يتم الابصار	٣٣
العين في القران الكريم	٣٧
السمع والبصر	٤٣
اسباب تقديم السمع على البصر	٥٥
الاعجاز العلمي لغض البصر	٧٩
عجائب عيون الحيوانات	٨٢
عظماء المكفوفين	٨٧
النهاية	١٠٧

الإهداء

اهدي كتابي هذا

إلى

زوجي الدكتور ذاكر محمد محسن

إلى

والـــــدتـــي ، إخـــوتـــي ، أخـــواتـــي

إلى

ابـــــنـــي احـمـــد وابـــنـــتـــي نجوان

شكر وتقدير

أود إن أتقدم بالشكر والامتنان

إلى

الشيخ الدكتور فالح إبراهيم

لمساعدته لي أثناء جمع مادة هذا الكتاب

المقدمة

القران الكريم هو كتاب اللّه المعجز فيه خبر ما قبلنا ونبأ ما بعدنا وحكم ما بيننا ، إن من يتمعن في كتاب اللّه عز وجل وينظر إليه بعين الحكمة والرؤية والتفكير، تتجلى إمام ناظريه قدرة الخالق جل علاه ، وتبدو لديه آياته البنيات وما حوت من حقائق وبحوث علمية لا يزال العالم مجدا في بحثها ، سائرا وراء تقصيها حتى أذا اكتشف له العلم عن مسالة ، وجد هذا الكشف مطابقا لما جاء في كتاب اللّه الحكيم.

وفي جسم الإنسان الكثير من الأعضاء والأجهزة والتي تختلف بأهميتها من مرحلة إلى أخرى ومن فرد إلى فرد ولما كانت العين ولا تزال من أهم الأعضاء في جسم الإنسان لأنها تتعلق بالرؤية والتي تعتمد عليها بقية وظائف الجسم في تأدية الأعمال والممارسات الحياتية اليومية المختلفة .ومن خلالها يكتشف الإنسان بها كل الأشياء كما يقول شكسبير((عيناي هما نافذتي

التي اطل بها على العالم)) ، لذا كان ويكون الاهتمام بها كبيرا.

لذا فقد تناول هذا الكتاب ما ذكر عن العيون في القران الكريم وقد ركز على التعريف بالمعجزات العلمية والطبية التي جاءت في ثنايا القران والتي لم يكتشف علم الطب إسرارها إلا بعد مرور زمن طويل متوخين في تفسير الآيات الكريمة إظهار مواطن العظمة وبيان العبرة وربط تلك التعاليم السامية بواقع حياتنا وسلوكنا.

فإذا تأملنا مدينة اليوم.. نجد فيها عبادتها للمادة ، وسعيها للحصول على الثراء مهما كانت السبل الموصلة إليه وتسخيرها العلوم - وبصورة لا أخلاقية- للحصول على ثروات العالم اجمع وتقتيل كل من يقف في طريقها بالقنابل الهيدروجينية أو بالتشريد والتجويع وسلب الخيرات إن قادة الأمم المتمدنة اليوم يتحدثون عن (حقوق الإنسان) و (تقرير المصير) و (المساواة بين البشر) وما أجمل أحاديثهم تلك، إما أفعالهم فلو اطلعت عليها لوليت فرارا ولملئت منها رعبا . هذا التناقض مرده إلى أنهم

قلبوا الأمور رأسا على عقب. فالمادة - وهي وسيلة- جعلوها غاية المبادئ السامية – وهي غاية الإنسانية – جعلوها وسيلة وغطاء لذا فإننا ندعو في دراستنا هذه إلى الاهتمام بغاية الإنسان وغاية وجوده على الأرض. فالإسلام تراثنا نحن العرب وهو عقيدتنا نحن المسلمين وان كنا اليوم نشكو من التجزئة التي مزقت امتنا وسلطت علينا من لا يرحمنا فقد وحدنا الإسلام وحدة متكاملة قبل خمسة عشر قرنا لم يوحدنا وحدة ضم ارض إلى ارض وأقوام إلى أقوام بل وحدنا وحدة فكر وممارسة. وحد فكرنا وعقيدتنا ، وحدة نظمنا التي نسير بهديها في الحياة الدنيا ، في الاجتماع والسياسة والقضاء والاقتصاد والعلم والطب فما احرنا ونحن ندعو اليوم إلى الوحدة بعد التفريق والى وحدة الهدف بعد تفرق الأهواء ، إن نستلهم تراثنا العظيم لتحقيق اعز هدف لجماهيرنا المتطلعة إلى حمل الرسالة من جديد لبشرية منكوبة بالقتلة والعنصرين ومصاصي دماء الشعوب . لذا فان دراستنا لتراثنا ليست لمجرد التشبث بالماضي وإنما هو ضرب من البحث عن النفس والتعرف إليها واستخلاص عناصر الأصالة المتجددة والنمو والتطور الذي يمتد إلى

الحاضر والى المستقبل في إطار عام يحافظ على تماسك الأمة وتعاقب أجيالها واتصال حضارتنا .

الإنسان والحيوان
في
القرآن الكريم

القرآن الكريم هو معجزة من معجزات الله جل جلاله العلي العظيم، والتي لا تتغير ولا تتبدل مع تغير الزمان وتبدل المكان... والتي تظهر بوضوح، إن التفسيرات والاجتهادات البشرية المفسرة لهذا القرآن العظيم الكريم... هي التي تتغير مع تغير الزمان وتتبدل مع تبدل المكان!!! إلى أن تقوم الساعة بإذن الله وحده لا شريك له.

ويظل هذا القرآن... شامخا عظيما مترفعا جليا يرتقي فوق اجتهادات وعقول البشر... وتظهر من خلاله وضوح الرؤية جلية بأن هذا القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من غير عند الله جل جلاله... لأنه لو كان كذلك لوجدنا فيه إختلافا كثيرا...

لقوله تعالى :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء ٨٢.

ولما وجد فيه من المعجزات العلمية العظيمة في جميع مناحي الحياة ...ولآخر تقنيات يصلون إليها (كدستور إلهي) يكون دائما هو الفيصل لجميع العلماء في كل المجالات الحياتية ... الطبية والفقهية والفلكية والتشريعية والبشرية والإقتصادية ...الخ، ولم تنته معجزات هذا القرآن الكريم عند حد معين... بل يظل يعطي الكثير والكثير من الآيات العلمية الإعجازية والتي سيظهرها الله جل جلاله وقتما يشاء...

لقوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ الإسراء ٨٥.

ويظل العلم الذي قام عليه هذا القرآن الكريم هو ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات جميعا ... وعندما يسخر الإنسان ما وهبه اللّه جل جلاله من مقدرات إعجازية عظيمة فيه... تتمثل قبل كل شيء بمعجزة الخالق عز وجل في خلق الإنسان نفسه !!! وما وهبه اللّه جل جلاله من معجزات القلوب والسمع والأبصار... ناهيك عن معجزات اللّه جل جلاله في خلق السموات والأرض والقائمة جميعها على علوم عظيمة من خالق عظيم... بحيث يستطيع الإنسان من خلال التفكُر والتعقل والتذكُر والتدبُر بآيات اللّه جل جلاله ...ومن خلال ما وهبهم اللّه جل جلاله من قلوب ليفقهون بها ومن عيون ليبصرون بها ومن آذان ليسمعون بها... ليتوصلوا من خلالها إلى علم اللّه جل جلاله في السموات والأرض... وليعبدوه يقينا ويعظمونه ويسبحونه بكرة وأصيلا وليكبروه ولا يشركوا معه شيئا من خلقه... وعلى ذلك تقوم جميع الرسالات والكتب السماوية (التوراة والإنجيل والزبور والقرآن) وأرسل اللّه جل جلاله من أجلها الرسُل والأنبياء.

وقد صوّر اللّه جل جلاله من يعرض عن إستخدام ما سخر اللّه له من قلوب وأعين وآذان... ولا يستخدمونها في التقرب إلى اللّه جل جلاله ؟؟ وصفهم اللّه جل جلاله بأنهم أكثر ضلاله من الأنعام أو البهائم من الحيوانات !!! كالذين لا يفرقون بين الحق والباطل والشك واليقين ولا يفرقون بين الهدى والضلال، ولا يفرقون بين الحلال والحرام !!! توعدهم اللّه جل جلاله بنار جهنم يصلونها يوم يقوم الحساب... وقد وصف اللّه هؤلاء بالغافلين.

لقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

الأعراف ١٧٩ .

ولقوله تعالى :

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ الفرقان ٤٤.

ولقوله تعالى :

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج ٤٦.

ودعونا نتفكر قليلا في الآيات العظيمة أعلاه، والتي يبين الله جل جلاله فيها الفرق بين من يعقلون ويفقهون بقلوبهم وأبصارهم وآذانهم... وبين الآخرين ممن لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون، أعدهم الله جل جلاله من أصحاب جهنم يصلونها وبئس المصير!!! ولم

يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل صورهم اللّه جل جلاله بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلا من الأنعام !!!

والسؤال المهم هنا... ونحن نعلم ان البهائم من الأنعام لا تتفقه ولا تتفكر ولا تتدبر!!! وصوَر اللّه جل جلاله البشر ممن لهم قلوب ليفقهون بها ولهم أعين ليبصرون بها ولهم آذان ليسمعون بها، ولكنهم لا يستخدمونها في التفكر والتذكُر والتدبر!!! كيف صورهم اللّه تعالى بأنهم أضل سبيلا من الأنعام (البهائم من الحيوانات) كيف يكون هذا؟؟؟

لقوله تعالى :

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الإسراء ٧٠.

ولننظر إلى صورة بلاغية أخرى عظيمة، فقد كرم الله جل جلاله بني آدم وسخر لهم وحملهم في البر والبحر ورزقهم من الطيبات وفضلهم الله تعالى على كثير ممن خلق تفضيلا... وأصبح ممن لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون أضل سبيلا من الأنعام !!!

ولقوله تعالى :

﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ۝٢٣ ﴾ (٢٢ ، ٢٣) الأنفال ٢٢-٢٣ .

نعمة البصر

قال تعالى :

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق ٢٢ .

تعد حاسة البصر من نعم اللّه العظيمة ألا إن البصر طالما يحجب ويغطي فلا يستطيع الإنسان أن ينظر بعين اللّه ، فكيف نستطيع كشف الغطاء لنصل إلى البصر الحقيقي ؟

الطريق هو الابتعاد عن الغفلة لقوله تعالى :

﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق ٢٢ .

الآية الكريمة تنظر إلى جانبين مهمين الأول قبل حدوث عملية الكشف والثانية بعد تحققها والأولى

تعبر عن الغفلة والثانية هي الحديد ، ونستطيع أن ننتقل بالكشف من الغفلة إلى الحديد.

إنما تقاس عظمة الأشياء وقيمتها بالنتائج والحصائل التي تنجم من تلك المصادر للنعم ولما كانت العين الباصرة في الإنسان هي من أوائل النعم الإلهية على هذا الإنسان لأنها المصدر الرئيس الذي ينقل الإنسان من تباجيل الظلمات المحسوسة إلى لجج النور الوضئ لذلك جعل اللّه من آياته وجود العينين في الإنسان فقال تعالى :

﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ البلد (٨، ٩ ، ١٠).

فقد صور في آياته بأجل نعمة من هاتيك النعم العظام فهي اعلي من نعمه اللسان والشفتين أو الهداية الى النجدين ، لذلك بشر اللّه من حرم هذه النعمة ثم صبر على ذلك الحرمان بالجنة وذلك ما أكده أكثر من حديث صحيح عن نبي الرحمة ﷺ منها يقول اللّه عز وجل في الحديث القدسي (من اصبته بحبيبتيه او

كريمتيه فصبر جزاءه عندي الجنة) فقد سماها الله كريمتيه وحبيبتيه وهذا الوصف يكفي إن يكون دليلا قاطعا على أهميه العين في الإنسان كما جاء في صحيح السنة إن الله عز وجل يوم القيامة يسال عبده ويذكره بنعمه ويزنها بعبادة الإنسان في الحياة الدنيا ثم يقرر الحديث بان لو جعلت نعمة البصر في الإنسان إزاء كفة العبادة مهما طال عمر الإنسان في العبادة فان نعمة البصر ترجح على العبادة مهما كثرت، ناهيك عن جمالية العين في الإنسان فإنها أجمل جزء ظاهر في الإنسان في الذكر والأنثى مهما تعددت ألوانها أو إشكالها الخلقية الطبيعية فإنها تبقى هي الشاهد الأول الذي له الصدارة في جمالية خلقة الإنسان التي قال الله عنها :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ التين ٤ .

وقد أشار الله عز وجل الى الرعاية الإلهية للنبي محمد ﷺ بالعيون فيقول له :

﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٤٨﴾ ﴾ الطور ٤٨.

فالأعين هنا التي هي جمع قلة تدل على الرعاية والعناية الإلهية للرسول إذن لماذا اختيار الأعين لأنها المصدر الرئيس في ملاحظة الأشياء ومعاينتها وهذا ما يسمى بالاستعارة في اللغة العربية ، ثم نجد ملحظا أخر عند مخاطبته لكليمه موسى عليه السلام ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه ٣٩ وهذه الصناعة على عين من الله تعني الرعاية التي لا تغفل عن المصنوع أبدا لان الله لا تأخذه سنه ولا نوم.

وقد سمى الله العيون التي هي واحده من مصادر المياه في الأرض سماها بهذا الاسم لأنها مصدر للماء الذي هو مادة الحياة الأولى قال تعالى :

﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنبياء٣٠ .

فأن هذه العيون الأرضية قيمتها كقيمة العيون في الإنسان فتلك للنور ولولا النور ما استقامت حياة الإنسان أبدا كذلك لولا الماء ما بقيت حياة على الأرض فهذا ربط علمي واقعي بين ما مسمى العين الباصرة وبين مسمى

العين التي يصدر عنها الماء لذلك في قصة نوح عليه السلام حينما عاقب الله قومه بالغرق قال تعالى :

﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴿١٢﴾ ﴾ القمر ١٢.

وجعل الله من العقوبات لمن يغفل عن هدى الله المستقيم وهو يملك البصر والبصيرة في الدنيا ولكنه لا يهتدي بهما فعقوبته في الأخرة إن يكون أعمى عما حقيقا، أي يسلب نظره، قال تعالى :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ طه ١٢٦،١٢٥،١٢٤.

ففي هذه الآية نعلم إن من غير البصر تكون الحياة ضنكه شديدة، ثقيلة، سجن لصاحبها ثم نعلم إن الذي

ينساه الله أي يهمله ويتركه ولا يكترث له يجعله أعمى حائرا في إمرة ولا يلوي على شيء وقال تعالى :

﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ الإسراء٧٢ .

فالعمى الأول في هذه الآية هو الظلال عن الهدي إما العمى الثاني في الاخرة فهو العمى الحقيقي أي سلب النور من العين الباصرة ، ومما يلفت النظر إن الله عز وجل يصف نفسه يسمع ويرى ، قال تعالى يخاطب موسى وأخاه هارون :

﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه ٤٦ .

فهذه الرؤية الإلهية قد اختلف فيها علماء التفسير وعلماء الكلام فقسم منهم قال ان لله عين يرى بها

ولكن لا نستطيع ان نصفها ولا نستطيع ان نجسمها لان اللّه لا يدركه وصفه فقد قال تعالى :

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾

الشورى ١٥

فهؤلاء يقولون نؤمن بما اخبرنا هو ولكن لا نسأل عن الكيف فان الخبر معلوم والكيف مجهول.

وقد اخبرنا اللّه عن قوم شغفوا فتنه بالرسل الذين أرسلهم اللّه إلى قوم لوط فكانوا على سورة البشر ولكنهم يتميزون بجمال لا حدود له وجمال عيون يعجز عنه الوصف فلما سمع قوم لوط بهؤلاء المرسلين جاؤوا يهرعون إليهم لينالوا منهم ما يرغبون فيه من فعل المنكر فعاقبهم اللّه إن طمس على أعينهم أي محاها محوا ، ثم عاقبوهم بعد ذلك بدمار قرية سدوم بأكملها وهذا الخبر مثبت بالقران الكريم في سور متعددة سور ،القمر ، هود ، الأعراف ، قاف ، العنكبوت.

وقد جاء في الكتب السماوية المعتبرة القران الكريم والتوراة والإنجيل إن عقوبة من سمل (فقأ) عين غيره تفقأ عينه جزاء وفاق لعمله وهذا يدل على أهمية العين واهتمام الأديان بها ولا بديل لهذه العقوبة بغيرها أي لا يسمح بالعفو عن الجاني إلا بهذا القصاص أو بالأرش (الارش هو العوض عن الأعضاء التالفة) ويتوقف العوض بالارش على موافقة المصاب بتلف العضو أي لا يجبر علية على قبول العوض المادي ويعني هذا انه لو أصر بفقأ عين الجاني لنفذ به هذا القصاص ولا غيره.

ومن عجائب العين في الإنسان هو حصول الحسد من خلالها ولو إن الطب قد يتوقف في هذا الأمر لكن الواقع الشرعي والواقع المألوف لدى الناس إن العين حق وقد اثبت ذلك القران فقال تعالى :

﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾ ﴾ الفلق ٥ .

وجاء في قصة يوسف عليه السلام إن أباهم يعقوب عليه السلام قال لأبنائه :

﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴿٦٧﴾ ﴾ يوسف ٦٧ .

كأنه يرشدهم إلى إن يتفرقوا حتى لا يراهم الناس مجتمعين فيحسدونهم لأنهم كانوا يتمتعون بجمال لا نظير له ، وكذلك يخبر الله نبيه محمد ﷺ عن المشركين من قريش فيقول تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ ﴾ القلم ٥١ ،

فان هذا اللفظ (يزلقونك) يحسدونك وجاء في سورة النساء في حق النبي إبراهيم (عليه السلام) وموقف قومه منه قوله تعالى :

﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء ٥٤ والحسد لا يكون إلا بالعين .

كيف يتم الإبصار؟

عند النظر إلى صديق مثلا.. تبدأ سلسلة من العمليات الكيميائية، يدخل الضوء المنعكس من جسم صديقه إلى عدسة العين بسرعة عشرة تريليون فوتون (الجزئيات الضوئية) ، في الثانية ، ثم يمر عبر العدسة والسائل الذي يملا كرة العين إلى الشبكية ، تحمل الشبكية نحو مليون خلية يطلق عليها المخاريط والعصى . إما العصى فتميز الضوء عن الظلام ، والمخاريط تتحسس الألوان .

نعود إلى المثال .. عند نظر احدنا إلى صديقه، تسمح القرنية للضوء بالمرور عبرها.. أما القزحية فتنظم كمية الضوء الوارد إلى العين عن طريق تقليص أو توسيع بؤبؤ العين (الفتحة الدائرية في الوسط) (pubil).

عندما تصل الفوتونات إلى العين تبدأ سلسلة من التفاعلات الكيميائية أول جزيء يتعامل معها يسمى cis- retinal-11 وهو جزيء حساس للفوتونات .. يتغير شكله ،مما يؤدي إلى تغير في شكل بروتين

الريدوسين rhodopsin الذي يرتبط به بإحكام .فيتخذ بروتين الريدوسين بعد ذلك شكلا يسمح له بالالتصاق مع بروتين أخر في الخلية يلصق علية ترانسدوسين transducin وقبل إن يتفاعل ترانسدوسين مع الريدوسين يرتبط مع جزيء أخر يدعى gdpk عندما يتصل الريدوسين يحرر جزيء gdpk ويرتبط مع جزيء أخر يطلق عليه GTP ويطلق على العقدة المتشكلة اسم (Transducin rhodopsin GTP) وألان يرتبط هذا الأخير بسرعة مع بروتين أخر في الخلية يدعى phosphor diestrase وهذا يؤدي إلى تفكيك بروتين أخر في الخلية يدعى egmp ويؤدي ذلك إلى انخفاض تركيز egmp على قنوات الايونات في الخلية.

مما يؤدي إلى انخفاض عدد ايونات الصوديوم .. يؤدي هذا إلى اختلاف في توازن الشحنات عبر الغشاء ، مما يؤثر ويثير الخلايا العصبية المرتبطة مع هذه الخلايا ليتشكل ما نطلق عليه النبضات الكهربائية.

تحمل الأعصاب النبضات إلى المط وهناك تحدث الرؤية.

باختصار يلمس الفوتون الواحد خلية واحدة وعبر

سلسلة من التفاعلات تتولد عن الخلية نبضة كهربائية والحقيقة المذهلة. إن كل هذه المعلومات تتم في اقل من ١ على ١٠٠ من الثانية.

العين
في
القرآن الكريم

جاء في "معجم ألفاظ القرآن الكريم" الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة (مادة):

ع ي ن

(عَيْن - العَيْن - عَيْنا - عَيْنُها - عَيْني - عَيْناكَ - عَيْنان - عَيْناه - عَيْنَيْكَ - عَيْنَيْن - عُيُون - العُيُون - عُيونا - أعْيُن - الأعْيُن - أعيُنكم - أعْيُننا - أعْيُنهم - أعْيُنهُنّ - عِين - مَعِين).

يمكن أن ترد المادة إلى العين : عضو البصر، وتجمع على أعين وعيون ومنها تجئ معان في الحفظ والكلاءة، ومن الإبصار للمحفوظ وللغبطة والسرور، قرار العين، والعَيْناء : حسنة العين وجمعها عِين، في وصف بقر الوحش والنساء.

اللفظ	التكرار	النص الوارد في القرآن والشرح
عيْن	٦	"تغرب في عين حمئة "٨٦ / الكهف ، للجارية بالماء أو غيره، وكذلك ما في قوله تعالى : "عين القطر "١٢ / سبأ ،" عين آنية "٥ / الغاشية ،" عين جارية "١٢ / الغاشية ،" قرة عين لي ولك "٩ / القصص، هي للباصرة بمعنى السرور، وقله تعالى" :عين اليقين "٧ / التكاثر، للتأكيد، أي التي هي نفس اليقين .
العيْن	٣	"رأي العين "١٢ / آل عمران، هي للباصرة، وكذلك ما في ٤٥ "مكررة" / المائدة.
عيْنا	٦	"وقرّي عينا "٢٦ / مريم، للباصرة، بمعنى السرور، وفي

		قوله تعالى" :اثنتا عشر عينا " ٦٠ / البقرة، للجارية، واللفظ في ١٦٠ / الأعراف ٦ / ١٨ / الإنسان و ٢٨ / المطففين.
عَيْنُها	٢	"كي تقرَّ عينُها "٤٠ / طه، للباصرة و ١٣ / القصص.
عَيْني	١	"ولتصنعَ على عيني "٣٩ / طه، للباصرة.
عَيْناكَ	١	"ولا تعدُ عيناك عنهم" ٢٨ / الكهف، للباصرة.
عَيْنان	٢	"فيهما عينان "٥٠ / ٦٦ / الرحمن، للجارية.
عَيْناهُ	١	"وابْيضَّت عيناه "٨٤ /يوسف، للباصرة.
عَيْنَيْكَ	٢	"لا تَمُدَّنَّ عينيك "٨٨ / الحجر، للباصرة، و١٣١ / طه.

عَيْنَيْن	١	"ألم نجعل له عينين "٨ /البلد، للباصرة.
عُيُون	٨	"جنات وعيون "٤٥ / الحجر، الجارية واللفظ في ٥٧ / ١٣٤ / ١٤٧ / الشعراء و٢٥ / ٥٢ الدخان و١٥/ الذاريات و٤١ / المرسلات.
العُيُون	١	"فيها من العيون "٣٤ / يس، للجارية.
عُيونا	١	"وفجرنا الأرض عيونا "١٢ / القمر، للجارية.
أعْيُن	٦	"سحروا أعين الناس "١١٦ / الأعراف، للباصرة، وكذلك ما في ١٧٩ / ١٩٥ / الأعراف و٦١ / الأنبياء و٧٤ / الفرقان و١٧ / السجدة.
الأعْيُن	٢	"يعلم خائنة الأعين "١٩ / غافر، للباصرة، ومثله : ما في ٧١

		/ الزخرف.
أعيـنُكم	٢	"وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً "٤٤ / الأنفال، للباصرة، واللفظ في ٣١ / هود.
أعْيُنَنا	٤	"واصنع الفلك بأعيننا "٣٧ / هود، للباصرة، واللفظ في ٢٧ / المؤمنون و٤٨ / الطور و١٤/ القمر.
أعْيُنهم	٧	"ترى أعينهم "٨٣ / المائدة، للباصرة، واللفظ في ٤٤ / الأنفال و٩٢ / التوبة و١٠١ / الكهف و ١٩ /الأحزاب و٦٦ / يس و٣٧ / القمر.
أعْيُنُهُنَّ	١	"ذلك أدنى أن تقرَّ أعينهن "٥١ / الأحزاب، للباصرة.
عِين	٤	"قاصِرات الطرف عِين "٤٨ / الصافات، وصف نساء، واللفظ

		في ٥٤ / الدخان و٢٠ / الطور و٢٢ / الواقعة.
معين	٤	"ذات قرار ومعين "٥٠ / المؤمنون، للماء الظاهر، واللفظ في ٤٥ / الصافات و ١٨ / الواقعة و٣٠ / الملك.

السمع والبصر

يلحظ الذين يتلون كتاب الله، ويتدبرون آياته، أن السمع والبصر يلتقيان فيه مرادًا بهما الحاسَّتين ثلاث عشرة مرَّة، جاء السمع فيها كلها مفردًا في اللفظ، وسابقا في الذكر، وجاء البصر مجموعًا في اللفظ، ولاحقا في الذكر، فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل ٧٨ .

وقوله :

﴿ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ ٢٦ ﴾ الأحقاف ٢٦.

وما كان القرآن ليجمع بينهما على هذا النحو من الفرقة والتمييز مع توافق الكلمتين في الدلالة على المصدر، وتقابلهما في الذكر إلا لناشئة من حكمة، أو داعية من سر، ولم يفت المفسرين - على العهد بهم - أن يلحظوا هذا الخلاف، وأن يتلبثوا به، يعملون النظر فيه، ويبتغون الوسيلة إلى سره ومأتاه. فأما التفريق بينهما في الإفراد والجمع، فقد رجعوا فيه إلى اللغة يستفتونها، ويلتمسون الرأي عندها، فإذا لهم منها في تخريجهما وجهان:

أحدهما: أن السمع في أصله مصدر، والمصدر من أسماء الأجناس، فيدل مثلها على القليل والكثير، فالسمع في الآيات بمعنى الأسماع، وقد يلمح إلى ذلك جمع الأذن في مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ٥ ﴾ فصلت ٥ .

والوجه الآخر :أن يقدر مضاف قبل السمع، فيكون المعنى في الآية الأولى: وجعل لكم حواس السمع. وهذا الذي نقلوه عن اللغة حقٌ لا مرية فيه، ولا خلاف عليه، ولكنه لا جدوى منه، ولا مقنع به فيما نحن بسبيله؛ لأنه لم يبين لنا: لماذا جمع البصر وحده، ولم يجمع السمع معه، وكلاهما مصدر؟ ولم يبين: لماذا اختص السمع بالإفراد لفظا، والدلالة على الجمع معنى، واختص البصر بالجمع لفظا ومعنى؟ هل كانا سواء في الإفراد والجمع.

وما أظن إلا أنّ المفسّرين قد سكتوا عن ذلك وفي نفوسِهم منه شيء، ولكن ماذا عسى أن يصنعوا أكثر مِمّا صنعوا، وقد ألفوا في دهرهم الطويل أن يكلوا إلى اللغة وحدها أكثر ما يحرُجُهم من مشكلات التفسير؟ وقد أفضت إليهم اللغة بما عندها في هذه القضية، وأوفت معهم على الغاية جهد ما تطيق، وكأنما كتب على الدرس في تسلسله، وتتابع حلقاته أن يند بعض منه عن وعي العاكفين عليه، ليرِثه الخالفون عنهم، فيتداركوا ما كان فيه من فوت، ويُتمِمُوا ما أصابه من نقص، ولأمر ما قالوا: كم ترك الأول للآخر.

ولقد كان خيرًا للمفسرين وأجدى عليهم أن يرجعوا إلى القرآن نفسِه، عسى أن تلوح لهم منه ومضة من نور، أو تلقى إليهم أثارة من علم، ولعلهم لو تعلّقوا بها، وقلّبوا النظر فيها، أن يكون لهم منها هدى وبلاغ.

لنأخذ إذا بما لم يأخذوا به، عسى الله أن يفتح بالرأي، ويهدي إلى الحق، وهذه آية موصولة الأسباب بآيات السمع والبصر، وهي منها على شبه قريب، تذكر مثلها، والمقام في ظاهر الأمر لسواه، وهي قوله تعالى :

﴿ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ ﴾

الحج ١٩.

فالآية تبدأ بإشارة إلى فريقين يختصمان في الله: فريق مؤمن، وآخر كافر، ثم تنصرف إلى الإخبار عنهما، لا كما تخبر عن مثنى؛ بل كما تخبر عن جمع، فلا

يتطابق الخبر والمخبر عنهما، لكن هذا التخالف يصف حالا طارئة، ويشير إلى سر مكنون؛ فالخصمان هنا يظلان في واقع الحياة خصمين اثنين، يقوم كل بموقعه، ويمارس أموره على طريقته، ما تركا الشقاق والشغب، وأقاما على المتاركة والسلم، وهما إذا مثنى، يجري عليهما كل ما يجري على المثنى من أحكام التعبير، أما العدد الذي يتألف كلاهما منه، فلا وزن له هنا ولا حساب، فقد جمعت بينه العقيدة، ولزته العصبية بعضه إلى بعض، فإذا هو جمع عددًا، ولكنه مفرد حكمًا وتقديرًا، والخصومة إذا قائمة بين صفين متراصين، لا بين أشتات من هؤلاء وهؤلاء.

أمَّا إذا بدت بينهما العداوة، وهاجتهما الحمية، وراح كل يستنفر أصحابه، ويحرضهم على النصرة والمشاركة، فقد انتشر الجمعان، وانفرط العقدان، وانقلبت الخصومة من جمع لجمع، إلى فرد لفرد، حتى ليعجل كلٌ إلى صاحبه فيوقع به ما أمكنت الفرصة منه، فحق على المثنى إذا أن يخلي مكانه للجمع، فقد أصبح المقام له، هو وحده القادر على أن يحكي هذه الصورة، وأن يخيلها للذهن بالإشارة الدالة، والإيماءة الموحية.

وآية أخرى تصف مثنى مؤنثا بجمع مذكر سالم، وهي قوله تبارك اسمه :

﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت ١١ .

فالأمر هنا لخلقين اثنين: السماء والأرض، فقد كانتا إذ ذاك ولا شيء معهما، وكان جوابهما جواب جمع مذكر، تريدان أنَّ طاعته تعالى لن تكون منهما وحدهما كما كان الأمر لهما وحدهما، ولكن منهما ومن كل مَن فيهما من خلقه ، سبحانه وتعالى .

يتبيَّن من ذلك أنَّ القرآن حين يحل المخالفة محلَّ المطابقة لا يصنع ذلك جزافا أو على ما خيلت، ولكن لأمر يراد ، وأن من الخير إذا لم تسعف اللغة بالرأي فيه عن سماحة ويسر، ألا نحملها على تكلف الرخص وانتحال الأسباب؛ بل نرجع فيه إلى القرآن ما وجدنا إليه سبيلاً، ففيه حينئذٍ غناء خير منها، وعنده لا عندها الخبر اليقين.

وإذا نحن رجعنا من هنا إلى آيات السمع والبصر، تصحبنا تلك الخواطر التي فصلنا آنفًا، فماذا عسى أن نجد هناك؟ نجد أن السمع لا شأن له بغير الصوت، ولا معاملة له إلا معه، فهو يحمله إلى صاحبه، ويبلغه إياه على ما هو عليه، ولا مزيد، والصوت في واقعه شيء واحد، وإن تعددت ينابيعه، وتباينت أوصافه، وليس كذلك البصر، فإنه يدرك المرئيات كافة، وهي مع كثرتها تختلف في مادّتها وتكوينها، وفي هيئاتها وأشكالها، وفي أوصافها وألوانها.

والقرآن إذ يذكر السمع بلفظ المفرد، ويقرن إليه البصر بلفظ الجمع، إنما يشير إلى أنّ الحاسَّتين ليستا سواءً في مبلغ كلٍّ من عدد المدركات، وفي حظّ كلٍّ من التلقي عنِ الحياة والعمل لصاحبه، فالسمع يُدرِك شيئًا واحدًا، هو الصوت، والبصر يدرك أشتاتًا من المرئيات، كأنه جمع من الحواس، لا حاسَّة واحدة.

فذكر السمع مُفردًا يعني المطابقة بين لفظه ومسماه، وبين لفظه وعمله في وقت واحد، وذكر البصر بلفظ الجمع يعني التفرقة بينه وبين السمع في عدد المدركات من جانب، ثم المطابقة بين لفظه وتعدد

مدركاته، بما يجعله شبيهًا بالجمع، وأهلا لأن يعامل معاملته في التعبير عنه من جانبٍ آخر.

أمَّا حين يذكر البصر ولا يذكر معه السمع، فإنه يذكر أخذًا على المعتاد من المطابقة بين الألفاظ ومعانيها مفردة وغير مفردة؛ إذ لا مجال إذ ذاك لمفاضلة ولا ترجيح، وما هو إلا البصر كما يراه الله تعالى في حقيقته، حاسة من الحواس ليس غير، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ ق ٢٢.

وقوله :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الإنعام ١٠٣.

وقوله :

﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر ٢.

وقد ذكر الفؤاد مع السمع والبصر في خمس آيات، وجاء فيها كلها مجموعًا كالبصر، مثل قوله تعالى :

﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ النحل ٧٨ .

وقوله :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٧٨ ﴾ المؤمنون ٧٨ .

وحكمة ذلك ـ والله أعلم ـ أن الفؤاد تتعدد أحواله، كما أنّ البصر تتعدّد مدركاته، فهو يجيش بألوان من العواطف ، وتنبعث فيه ضروب من المشاعر والانفعالات.
كذلك يجمع القرآن السمع والبصر والفؤاد في آية واحدة، ويذكرها جميعًا بلفظ المفرد، وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ الإسراء ٣٦ .

ولعل ذلك ـ والله أعلم ـ لأن المقام ليس للإشارة إلى مدركاتها، والمفاضلة بينها، ولكنه للنهي عن اتباع المرء ما لا يعلم من قول وفعل، والإنذار بأنه مسؤول عما يسمع، وما يبصر، وما ينوي من شيء، فيقال له يوم القيامة كما في الكشاف: لِمَ سمعت ما لم يحلَّ لك سماعه؟ ولِمَ نظرت إلى ما لم يحِّل لك النظر إليه؟ ولِمَ عزمت على ما لم يحلَّ لك العزم عليه؟، فالسمع هنا يعني المسموع، والبصر يعني المرئي، والفؤاد يعني المنوي.

هذا قولنا في ذكر السمع مفردًا، والبصر جمعًا حين يلتقِيان، ثمَّ في ذكر البصر حين يفرد وحده بالذِّكر، وبقي أن نقول في ذكر السَّمع سابقا، والبَصَر لاحِقا، وألاحظ قبل القول في ذلك أن السمع لا يسبق البصر حين يكون كلاهما حاسَّة عاملة ليس غير، كما في الآيات التي مضت آنفًا، ولكنه يسبقه أيضًا حين يكون كلاهما وصفًا مميزًا لصاحبه، وقد ذكرا كذلك في إحدى عشرة آية، منها قوله تعالى :

﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ الحج ٧٥ .

وقوله :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان ٢ .

أما القول في سبق السمع، وتأخر البصر، فهو القول بما يدل عليه حال الترتيب نفسه، فما من أحد يأخذ في كلامه بترتيب معين، يلتزم فيه تقديم شيء على قرينه، لا يعدل عنه، أو يراوح فيه إلا وهو يريد الإشارة بذلك إلى إيثار المقدم لفضل مزية فيه دون قرينه، فكيف هو بين السمع والبصر على ترتيبهما في كلام العليم الخبير؟

وقديمًا رأى الخليفة الأول أن ذكر المهاجرين قبل الأنصار في القرآن الكريم آية مزية، وشارة تفضيل، ولذلك أقبل ﷺ يحاجُ الأنصار في الخلافة يوم السقيفة، ليصرفهم عن طلبها، ومنازعة المهاجرين فيها، فيقول فيما يقول :أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم.

أمَّا القدماء فقد تفرقت بهم السبل في القضية: فقال قوم

بتفضيل السمع؛ لأنه يدرك به الجهات الست، وفي النور والظلمة، ولا يدرك البصر إلا من الجهة المقابلة، وبواسطة من ضياء وشعاع، وقال أكثر المتكلمين بتفضيل البصر على السمع؛ لأن السمع لا يدرك به إلا الأصوات، والبصر تدرك به الأجسام، والألوان، والهيئات. إذا ليس في تقديم السمع على البصر في القرآن أمارة فضل له عليه عند أكثر المتكلمين، إذا صح أنهم قالوا عنه ما قالوا في حضرة القرآن، وعلى ذكر منهم لآياته، لا أنهم قالوه ذهابًا مع البحث المجرَّد، وإيغالا في طلب الحقيقة خالصة من الحدود والقيود.

وأيًا ما يَكُنِ الأمْرُ فلا حرَج على باحِثٍ أن يرى في القضيَّة رأيًا، ويدلي فيها بدلو إن كان من أصحاب الدلاء، إذا يمكن أن يقال: إن مدار الحكم للبصر على السمع عند الذين يصفهم القرطبي بالأكثرين هو أن البصر أكثر مدركات من السمع، كأنَّ الأمر تكاثر بالعدد، وليس مفاضلة في القيمة والقدر، والعدد إن يهن شأنه وتقل قيمته لا تغن الكثرة عنه شيئا، ولا يستوجب بها فضلا على عدد من نوعه أقل جملة وأكبر نفعًا.

أسباب تقديم
السمع على البصر

١- قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الإسراء ٣٦ .

لقد ذكرت كلمة ((السمع)) و مشتقاتها وتصاريفها في القران الكريم (١٨٥)مرة ، بينما وردت فيه كلمة ((البصر)) ومشتقاتها وتصاريفها (١٤٨) مرة وحيثما وردت كلمة السمع في القران الكريم عنت دائما سماع الكلام والأصوات وإدراك ما تنقله من معلومات ، بينما لم تعن كلمة البصر رؤية الضوء والأجسام والصور بالعينين إلا في (٨٨) حالة فقط ، إذ أنها دلت في باقي المرات على التبصر العقلي والفكري في ظواهر الكون والحياة أو في ما يتلقاه المرء ويسمعه من آيات وأقوال، و يحتوي العصب البصري الواحد على أكثر من مليون

ليف عصبي . بينما يحتوي العصب السمعي على ثلاثين إلف ليف فقط .

تمثل الأعصاب البصرية ثلثي عدد الأعصاب الحسية في جسم الإنسان ويرد إلى الجسم عن طريق الجهاز السمعي أكثر من١٢٪ من مجموع المعلومات الحسية، بينما يرد عن طريق الجهاز البصري حوالي ٧٠ ٪ .

وقد ترافقت كلمتا ((السمع)) و ((البصر)) في (٣٨) أية كريمة ، كما قال تعالى :

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة ٩ .

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون ٧٨ .

وقال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الأحقاف ٢٦ .

وقال تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل ٧٨ .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الملك ٢٣ .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ **يونس ٣١ .**

وقال تعالى :

﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **هود ٢٠ .**

وقال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ **الإنسان ٢.**

وقد وردت كلمة ((الصمم)) مترافقة مع كلمة ((العمى)) في ثماني آيات سبقت في معظمها كلمة ((الصمم)) كلمة ((العمى)) كما في قولة تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾ محمد ٢٣.

وقال تعالى :

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة ١٧١.

وقال تعالى : ﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة ١٨ .

وقال تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ الفرقان ٧٣ .

ومن الملاحظ في هذه الآيات الكونية إن كلمة ((السمع)) قد سبقت ((البصر)) وبلا استثناء ، فلا بد وان نتساءل: عل لهذا السبق من دلالة خاصة ؟ قد تبدو الإجابة عن هذا السؤال وللوهلة الأولى وعلى ضوء المعلومات الأولية التي نعرفها عن هذين الحسين صعبة وعسيرة الفهم ، فمن المعلوم فيزيولوجيا وتشريحيا إن العصب البصري الواحد يحتوي على أكثر من مليون ليف عصبي بينما لا يحتوي العصب السمعي إلا على ثلاثين إلف ليف فقط ، كما إن من المعروف فيزيولوجيا إن ثلثي عدد الأعصاب الحسية في الجسم هي أعصاب بصرية ، ولا يرد إلى الجسم من مجموع المعلومات الحسية عن طريق الجهاز السمعي أكثر من (١٢٪) بينما يرد إلى الجسم عن طريق الجهاز البصري حوالي (٧٠٪) من مجموع المعلومات الحسية ، اذا لماذا هذا التقدم لحس السمع وإيراده قبل حس البصر في كل الآيات تقريبا ؟ فلا بد وان هناك سببا لم نعرفه بعد ، ولكننا لو تبصرنا في الحقائق العلمية التي عرفت حديثا في علوم الأجنة والتشريح والفيزيولوجيا والطب لتمكنا من إيجاد

الأجوبة ولأتضح لنا الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة ، فمما عرفناه حتى ألان من هذه الحقائق:

١ـ تتطور حاستي السمع والبصر في وقت متزامن تقريبا في الحياة الجنينية الأولى إذ تظهر الصحيفة السمعية في أخر الأسبوع الثالث (otic placode) وهي أول مكونات آلة السمع ، بينما تظهر الصحيفة البصرية في أول الأسبوع الرابع من حياة الجنين.

وتتطور الإذن الداخلية للجنين من هذه الصحيفة السمعية ، فيظهر في الأسبوع الرابع الكيس الغشائي لحلزون الإذن (membraneous cochlea) الذي ينمو طوليا ويلتف لفتين ونصف مكونا الحلزون الكامل في الأسبوع الثامن ، ثم تتم إحاطة الحلزون بغلاف غضروفي في الأسبوع الثامن عشر ، وينمو هذا حتى يصل حجمه الحجم الطبيعي له عند البالغين في الأسبوع الحادي والعشرين ، عندما ينمو فيه عضو((كروتي)) (وهو عضو حس السمع) وتظهر فيه الخلايا الشعرية الحسية التي تحاط بنهايات العصب السمعي ، وبذا تكون الإذن الداخلية قد نمت ونضجت لتصل إلى حجمها عند

البالغين وأصبحت جاهزة للقيام بوظيفة السمع المخصصة لها في الشهر الخامس من عمر الجنين.

وكما سنرى إن هذا القسم من الإذن يتمكن منفردا من التحسس للأصوات ونقل إشاراتها إلى الدماغ ، لإدراكها دون أي ضرورة لمساهمة الاذنين الوسطى والخارجية من الأديم الظاهر والإذن الوسطى من الأديم المتوسط ، فتتولد عظيمات وعضلات الإذن الوسطى وبوق ((اوستاكي)) وغشاء الطبلة والصماخ السمعي الخارجي خلال الأسابيع (١٠-٢٠) ثم يتم اتصالها بالإذن الداخلية في الأسبوع الحادي والعشرين، كما يتوضح شكل صيوان الإذن في بداية الشهر الخامس ويتكامل نموه في الأسبوع الثاني والثلاثين.

إما العين فلا يتم تكامل طبقتها الشبكية الحساسة للضوء إلا بعد الأسبوع الخامس والعشرين ، ولا تتغطى ألياف العصب البصري بالطبقة النخاعية لتتمكن من نقل الإشارات العصبية البصرية بكفاءة إلا بعد عشرة أسابيع من ولادة الجنين ، كما يبقى جفنا عيني الجنين مغلقين حتى الأسبوع السادس والعشرين من الحياة الجنينية.

يتضح مما تقدم إن الإذن الداخلية للجنين تنضج وتصبح قادرة على السمع في الشهر الخامس ، بينما لا تفتح العين ولا تتطور طبقتها الحساسة للضوء إلا في الشهر السابع ، وحتى عند ذاك لن يكون العصب البصري مكتملا لينقل الإشارات العصبية الضوئية بكفاءة ولن تبصر العين لأنها غارقة في ظلمات ثلاث .

٢ـ السمع والبصر : لقد ثبت علميا إن الإذن الداخلية للجنين تتحسن للأصوات في الشهر الخامس ، ويسمع الجنين أصوات حركات أمعاء وقلب أمه ، وتتولد نتيجة هذا السمع إشارات عصبية سمعية في الإذن الداخلية ، والعصب السمعي والمنطقة السمعية في المط يمكن تسجيلها بالات التسجيل المختبرية ، وهذا برهان علمي يثبت سماع الجنين للأصوات في هذه المرحلة المبكرة من عمره .

ولم تسجل مثل هذه الإشارات العصبية في الجهاز البصري للجنين إلا بعد ولادته.

الطريق الأول: هو طريق الإذن الخارجية ثم الوسطى والمملوءان بالهواء في الإنسان الطبيعي .

بالهواء ، وتنتقل بالطريقة الثانية بواسطة عظام الجمجمة ، وهي ناقلة جيدة للأصوات ولكن الإذن الخارجية للجنين مملوءة ببعض الألياف وبسائل ((السلى)) ولكن السوائل هي الأخرى ناقلة جيدة للأصوات ، فعند غمر رؤوسنا بالماء عند السباحة نتمكن من سماع الأصوات جيدا ، من ذالك يتضح إن الجنين يمكنه إن يسمع الأصوات التي قد تصل إلى إذنه الداخلية إما عن طريق الجمجمة أو عن طريق الإذن الخارجية المملوءة بسائل السلى والأنسجة ، من الناحية الأخرى لا يتمكن الجنين من إن يبصر خلال حياته الجنينية ، لا لظلام محيطه فقط بل لانسداد أجفانه ، وعدم نضوج شبكية عينيه ، وعدم اكتمال العصب البصري حتى وقت متأخر من حياته الجنينية.

٣ـ اكتمال حاستي السمع والبصر :

يمكن للجنين إن يسمع الأصوات بالطريقة الطبيعية بعد بضعة أيام من ولادته ،بعد إن تمتص كل السوائل وفضلات الأنسجة المتبقية في إذنه الوسطى والمحيطة بعظيمتها ،ثم يصبح السمع حادا بعد أيام قلائل من ولادة الطفل.

ومن الملاحظ إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يبدأ بسماع الأصوات وهو في رحم أمه.

فجميع الحيوانات لا تبدأ بسماع الأصوات إلا بعد ولادتها بفترة، وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك:

فالإنسان يسمع الأصوات قبل ولادته بأكثر من (١٦) أسبوعا ، إما حاسة البصر فهي ضعيفة جدا عند الولادة ،إذ تكاد إن تكون معدومة ، ويصعب على الوليد تمييز الضوء من الظلام ، ولا يرى إلا صورا مشوشة للمرئيات ، وتتحرك عيناه دون إن يتمكن من تركيز بصره وتثبيته على الجسم المنظور ، ولكنه يبدأ في الشهر الثالث أو الرابع تمييز شكل أمه أو قنينة حليبه وتتبع حركاتهما ، وعند الشهر السادس يتمكن من تفريق وجوه الأشخاص ، إلا إن الوليد في هذا السن يكون بعيد البصر ، ثم يستمر بصره على النمو والتطور حتى السنة العاشرة من عمره.

٤ـ تطور المناطق السمعية والبصرية المخية :

لقد ثبت ألان إن المنطقة السمعية المخية تتطور وتتكامل وظائفها قبل مثيلتها البصرية وقد أمكن تسجيل إشارات عصبية سمعية من المنطقة السمعية

لقشرة المط عند تنبيه الجنين بمنبه صوتي في بداية الشهر الجنيني الخامس ، وتحفز الأصوات التي يسمعها الجنين خلال النصف الثاني من حياته الجنينية هذه المنطقة هذه المنطقة السمعية لتنمو وتتطور وتتكامل عضويا ووظائفها ، ومن الناحية الأخرى لا تنبه المنطقة البصرية للمط في هذه الفترة بأيه منبهات ، ولذلك فهي لا تتطور كثيرا ولا تنضج ولا تتكامل ، فمن المعلوم فيزيولوجيا إن المنبهات النوعية التي ترد أي طريق عصبي حسي تحفزه على النمو والنضوج ، وبهذه الطريقة يحفز الجهاز العصبي على النضوج منذ الشهر الخامس الجنيني ولا يحفز الجهاز البصري بمثل ذلك إلا بعد ولادة الوليد .

ولهذه الأسباب يتعلم الطفل المعلومات الصوتية في أوائل حياته قبل تعلمه المعلومات البصرية ، ويتعلمها ويحفظها أسرع بكثير من تعلمه المعلومات المرئية ، فهو (مثلا) يفهم الكلام الذي يسمعه ويدركه ويعيه أكثر من فهمه للرسوم والصور والكتابات التي يراها ، ويحفظ الأغاني والأناشيد بسرعة ويتمكن من تعلم النطق في وقت مبكر جدا بالنسبة لتعلمه القراءة والكتابة ، وكل ذلك لان مناطق دماغه السمعية

نضجت قبل مناطقه البصرية ، قال تعالى : (لِنَجْعلَها لكُمْ تذْكِرة وتعِيَها أذُنٌ واعِيَة) الحاقة ١٢ .

٥ ـ تطور منطقة التفسير اللغوي في قشرة المط :

تنمو وتتطور منطقة التفسير اللغوي (geln) في قشرة المط ، والتي تقع بالقرب من منطقة حس السمع وترتبط معها ارتباطا اقرب وأوثق من ارتباطها مع منطقة حس البصر التي هي الأخرى تساهم في وظيفة الكلام والإدراك اللغوي عن طريق القراءة والكتابة .

إن هذا التقارب بين هاتين المنطقتين ناتج عن حقيقة تطور منطقة حس السمع ووظائفه في وقت مبكر ، وقبل نضوج منطقة ووظائف حس البصر ، يتضح لنا من كل ما تقدم ان :

أ- جهاز السمع يتطور جنينيا قبل جهاز البصر ويتكامل وينضج حتى يصل حجمه في الشهر الخامس من حياة الجنين الحجم الطبيعي له عند البالغين ، بينما لا يتكامل نضوج العينين الا عند السنة العاشرة من العمر .

بـ يبدأ الجنين بسماع الأصوات في رحمه أمه وهو الشهر الخامس من حياته الجنينية ولكنه لا يبصر النور والصور إلا بعد ولادته.

جـ تتطور وتنضج كل المناطق والطرق السمعية العصبية قبل تطورها ونضوج مثيلتها البصرية بفترة طويلة نسبيا.

وهنا لابد إن نعود إلى الآيات الكريمة:

قال تعالى:

﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ السجدة ٩.

قال تعالى:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ المؤمنون ٧٨.

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ الاحقاف ٢٦ .

قال تعالى :

﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ النحل ٧٨ .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الملك ٢٣ .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾

يونس ٣١ .

قال تعالى :

﴿ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾

هود ٢٠ .

قال تعالى :

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الإنسان ٢ .

كل هذه الآيات تشير إلى خلق ونشأة الإنسان ، وفي كلها دون استثناء تقدم ذكر السمع على البصر ، وهذه لم تكن صدفه عابرة من غير قصد ، ولكنها إعجاز

رباني لم نهتد إلى معرفته إلا مؤخرا بعد سبر غور الحقائق العلمية الحديثة التي تثبت الإعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمات.

ثم دعونا ننظر إلى الآيات الكريمة الأخرى التي ترافقت فيها كلمتا ((السمع)) و ((البصر)) في قوله تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ **مريم ٤٢.**

قال تعالى:

﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **هود ٢٠.**

قال تعالى:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ **الإسراء ٣٦.**

وقال تعالى :

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنعام ٤٦ .

قال تعالى :

﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ فصلت ٢٢ .

قال تعالى :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البقرة ٢٠ .

قال تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠ ﴾ فصلت ٢٠ .

في هذه الآيات يشير القران الكريم إلى وظيفتي السمع والبصر ، ولان الوظيفة الأولى تطورت ونضجت قبل الثانية ، ولان السمع أهم في التعلم والتعليم وأعمق رسوخا في ذاكرة الطفل فقد قدمها جل وعلا ، وتبين الحقائق العلمية السالفة الأعجاز العلمي في هذه الآيات الكريمة ، وهناك نواح عديدة أخرى تميز حس السمع على البصر نضيفهما لما تقدم.

٦ـ من المعروف فيزيولوجيا إن المرء يفقد حس البصر قبل فقدانه حس السمع عند بدء النوم أو التخدير (التبنج) أو عند الاحتضار قبيل الموت ، أو عند هبوط ضغط الأوكسجين في الهواء كما يحصل (مثلا) عند الصعود إلى المناطق الجبلية العليا ، أو عند الطيران في الأجواء العليا ، أو عند فقر دم الدماغ (كما يحصل للصائم مثلا

ان ملئ معدته بغذاء وفير وبسرعة كبيرة، أو عند النهوض السريع المفاجئ من وضع الاستلقاء) ففي كل هذه الحالات لا يفقد حس السمع إلا بعد فقدان حس البصر بفترة قصيرة .

تأثير السرعة والارتفاع على السمع والبصر :

٧- يولد التسارع أو التعجيل الشديد عند الطيارين أو عند رواد الفضاء في إثناء الطيران والارتفاع السريع تجاذبا موجبا يؤثر على البصر ويسبب ضباب الرؤية قبل فقدانها تماما والإصابة بالعتمة التامة ، ولا يفقد الطيار في هذه الأحوال حس السمع كله بل يبقى جزء كبير منه لفترة تالية تبقيه باتصال صوتي مع المحطات الأرضية.

الساحة السمعية والبصرية :

٨- يتمكن الإنسان من سماع الأصوات التي تصل إلى إذنيه من كل الاتجاهات والارتفاعات ، فيمكننا القول : ((إن الساحة السمعية هي (٣٦٠°) بينما لو ثبت الإنسان رأسه في موضع واحد فلن يتمكن من رؤية الأجسام إلا

في ساحة بصرية محدودة تقارب (١٨٠ ْ) في المستوى الأفقي و (١٤٥ ْ) في الاتجاه العمودي ، إما ساحة إبصاره للألوان فهي اقل من ذلك كثيرا. كما إن أشعة الضوء تسير بخط مستقيم دائما ، فإذا اعترضها جسم غير شفاف فلن تتمكن من عبوره أو المرور حوله ، ولكن الموجات الصوتية تسير في كل الاتجاهات ، ويمكنها إن تلف حول الزوايا وعبر الأجسام التي تصادفها ، فهي تنتقل عبر السوائل والأجسام الصلبة بسهولة فيسمعها الإنسان حتى عبر الجدران.

تأثير إصابة الدماغ على السمع والبصر :

٩- من المهم ملاحظة إن حس السمع لكل إذن يتمثل في جهتي المط ، فإذا أصيب احد نصفي الدماغ بمرض ما ، فلن يفقد المصاب السمع في أي من إذنيه ، إما في حالة البصر فيتمثل كل نصف من نصفي العين الواحد على جهة المط المعاكسة لها ، فإذا ما أصيب الدماغ بمرض في احد نصفيه فقد المصاب البصر في نصفي عينيه المعاكس لجهة الإصابة.

١٠ـ من المعلوم إن المولود الذي يولد فاقدا لحس السمع يصبح أبكم ، بالإضافة إلى صممه ، ولن يتمكن من تعلم النطق والكلام ، إما الذي يولد فاقدا الحس البصري فانه يتمكن من تعلم النطق وبسهولة، وهذا على ما يظهر ترافق لفظ ((الصم)) مع ((البكم)) والله اعلم.

قال تعالى :

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ البقرة ١٨ ،

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ البقرة ١٧١.

١١ـ عند فقدان حس البصر تقوم المنطقة البصرية المخية بوظائف ارتباطيه ، فترتبط وظيفيا مع المناطق الارتباطية الدماغية الأخرى ، فتزيد من قابلية الدماغ على حفظ المعلومات والذاكرة والذكاء ، ولا تقوم المناطق السمعية ـ لسبب غير معروف ـ بمثل هذا الارتباط عند فقدان حس السمع ، ولذلك فقد نبغ الكثيرون ممن فقدوا حس البصر ، ولم ينبغ احد ممن فقد حس السمع

إلا نادرا ، مما يدل على أهمية حس السمع والمبالغة في تخصص مناطقه المخية.

١٢ ـ الآيات القليلة التي ورد فيها ذكر ((البصر)) قبل كلمة ((السمع)) هي تلك الآيات التي تنذر بالعقاب أو تصف الكافرين ، وليس في أي منها إشارة لخلق هذين الحسين أو لوصف وظيفتهما أو تطورهما .

قال تعالى :

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ لأعراف ١٧٩ .

قال تعالى :

﴿ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ المائدة ٧١ .

قال تعالى :

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ **الإسراء ٩٧.**

قال تعالى :

﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ **الأعراف ١٩٥ .**

الاعجاز العلمي
لغض البصر

لم حرم الله النظرة علينا ؟.!

في البداية يقول الله عز وجل : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ النـــور ٢٠ .

فقال العلماء أزكى تعني أطهر وأنفع وأطيب.

وقد قال عليه الصلاة والسلام : (النظرة سهم من سهام إبليس المسمومة ، فمن تركها خوفا من الله عز وجل أثابه الله إيمانا يجد حلاوته في قلبه)،والسهم إذا دخل الجسم أحدث جرحا فقد يتلف مكانا معينا ,أما حين يكون السهم مسموما فإن السم يسري إلى كل أنحاء الجسم.

فالنبي عليه الصلاة و السلام قبل ١٤ قرنا بين مخاطر النظرة التي تتبع النظرة ، فالنظرة كالضغط على الزناد، الذي تبدأ بسببه سلسلة من التفاعلات والإفرازات الهرمونية الجنسية المعقدة ، التي لها تأثير على كل عضو ، بل على كل خليه ، والتي تهيء الجسم لعملية الاتصال الجنسي وكل هذا يجب أن يتم فيوقت محدد ، أما إذا أستمر انطلاق هذه الهرمونات في الجسم دون تفريغ هذه الشحنة ، فإنها سوف تؤدي إلى مضاعفات خطيرة في الجسم.

عيون الحيوانات

إذا تأملت مخلوقات اللّه على اختلاف أشكالها وأنواعها، وجدت أن الخالق المبدع قد هيأها لما قدر لها من شأنها، فأودع فيها من القدرات ما تتم به مصلحة معاشها.
ومن عجائب الخلق أن جهز الخالق المبدع الحيوانات تجهيزا محكما يحفظ حياتها ويحقق مآربها. ففي مجال النظر مثلا أمد اللّه سبحانه مخلوقاته بعيون توافق الحاجة الدقيقة لكل صنف منها. فجعل فى الطائر ما

لم يجعل فى السابح وفى الزاحف ما ليس فى الماشي وفى الليلي غير ما فى النهاري فكانت الأعين مختلفة أشكالها وأعدادها ومواضعها وألوانها وأحجامها وحركاتها. أغرب العيون ولا أحسنها .... بل فى الكائنات الحية عيونا أقدر من عين الإنسان .

- فمنها ما حباها الله تعالى بنظارات شمسية كالطيور والجمال.
- ومنها ما حباها الخالق سبحانه بتلسكوب مركب على عينيها.
- ومنها ما زوده جلت حكمته بفرشاة لإزالة ما يهبط عليها من غبار، كما حباها بعيون مركبة مشكلة من مئات الوحدات المتشابهة المتراصة بحيث ترى كل واحدة نقطة من الشئ المرئي وتجتمع النقط فيجتمع الشئ المرئي كما هو الحال فى الذباب المنزلي.
- ومنها ما يرى الأشعة فوق البنفسجية ولو غابت الشمس كالنحل.
- كما أن عيون بعض الحشرات فى أرجلها.

- ويرى دود الأرض تحت التراب بحلد مبصر.
- وهناك بعض الحيوانات تنظر فى اتجاه واحد إلى الأمام ولكنها مزودة بعينين إحداهما أمامية والأخرى خلفية فتستطيع أن ترى الاتجاهين فى وقت واحد.
- وعين الضفدع محددة فى عالم ذي حركات معينة لا تستجيب لغيرها وفقا لمتطلبات حياتها.

كما أن الإنسان أكثر ما تكون حساسية في وسط الشبكية ، لذا فإن الإنسان ينظر مباشرة إلى الشئ الذي يود رؤيته ، أما حساسية عين الحيوان فهي موزعة بطريقة أكثر توازنا فهي ترى بطريقة أكثر توازنا فهي ترى جيدا كل شئ يقع في حقل رؤيتها.

وهكذا فإن عين الإنسان ترى مدركات ...فى البر والبحر والفضاء لكنها لا ترى مدركات كالذرة وجسيماتها والضوء وأمواجه والصوت وأمواجه والكهرباء .... الخ.

عجائب عيون الحيوانات

الكائنات ذوات الاربع عيون:

هناك نوع من السمك يسمى ذوات الاربع عيون فإذا صعد فوق سطح الماء شاهد ما فوقه في حين تبحث عيونه السفلى في داخل الماء عن فريسة تلتهمها .

مخلوقات لها عيون في عين:

ان عين فرس النهر و بعض الديدان التي نراها فوق سطح الماء مقسمة الى عدة عيون بحواجز الى عدة اتجاهات، وفي عينيها اصباغ خاصة تقسم حدقة العين ،ففي الوقت ذاته يمكن للعين الواحده ان تنظر فوقها وتحتها كما ان بعض الحشرات تشاهد ماتحت ارجلها ومافوق رأسها في وقت واحد .

مخلوقات ترى بدون عيون:

بعض الديدان لا نجد فيها عيون على الاطلاق ، وإذا القي عليها أي ضوء نجد انها تهرب وتنزوي لان جسمها شديد

الحساسيه يشعرها باي اختلاف بالضوء ومن يدري لعلها ترى بجلدها ملا تراه بعينك! ومن الامثلة البارزه ايضا النمل الذي نراه كل يوم فعيناه لا ترى الاشياء ولكنها تفرق فقط بين الضوء والظلام وله حواس قوية جدا مثل قرون الاستشعار تنقل اليه مظاهر العالم القريبه والبعيدة.

عيون الطيور:

ان عيون الطيور مزوده بنظرات شمسيه من صنع الله تغطي بها عدسات عيونها. فتحدق في وهج الشمس وترا كل ماهو امامها من غير ان تتاثر عيونها وهذا الغطاء الشفاف يقي ايضا عيونها من الغبار والتراب وكل الامور التي تحدث بالطبيعه.

عيون الصقر:

ان عيون الصقر هما اقوى عضوين للابصار في جميع المخلوقات، يقول العلماء يستطيع الصقر ان يرى فريسته عن بعد ٢,٥ كيلومتر من فوق سطح الارض وترجع قوة الابصار في الصقر الى قوة مقلتيه ، وكما ان سمك

شبكية عينيه يبلغ ضعف سمك شبكيه عيني الانسان ونجد ايضا ان عيني الصقر تستطيع ان تقي نفسها من وهج الضوء ولمعانه وذلك لانها مبطنه بنقط صغيره من الزيت الاصفر اللون وهذه النقط تؤدي نفس الوظيفه التي يؤديها مرشح الفلترفي آالة التصوير.

عيون البومة:

وما دمنا نتكلم عن حدة الابصار فلا يمككنا ان نتجاهل ذلك الكائن الغامض الذي يطلق عليه اسم البومه ان البومه ترى الاشياء على مقدار من الضوء يقل ١٠٠ مره عن ما يحتاج اليه الانسان للرؤية فعينها خلقت للتحديق في ظلمة دامسه وهي ايضا تتمتع بنظر مزدوج والبوم يرى امواج الاشعة الحراريه تحت الحمراء، فالبوم يرى عالما مشعا.

الجمل ذو ثلاث جفون يحتوي الجمل على ثلاثة جفون، جفون كالنظارة شفافة اللون وجفون تقيه الاتربة وجفون تغطي العين بأكملها.

عين الضفدعة

ومن اغرب العيون هي عين الضفدعه وهي تعمل بذلك الاسلوب الغريب فالعالم الذي تشاهده الضفادع في منتهى الغرابه عالم لا يظهر فيه الا كل ماهو متحرك اما ماهو ساكن فلا وجود له في عالمها فكأن الضفضدعه جالسه امام شاشاة تلفزيون واذا ماتحرك شئ فهو يظهر في شاشة عيونها وان لم يتحرك شئ فتعود عينها ظلام اسود،فالضفدع يرى عالما كله قفزات لأن عيونه لا تستجيب لشئ ساكن أو متحرك حركة متواصلة ... ولا يصيد إلا أشياء تقفز.

عيون الحيتان:

ان وضع العين في جسم الحوت يوسع نطاق الرؤيه او يمده فان الانسان يرى الامام والجانبين ولكن موقع عين الحوت يسمح له برؤيه مايجري خلفه ايضا بعين كما يرى ماهو امامه بالعين الأخرى ولكن ما تراه عين لا تراه الاخرى فكل منهما ثابته في موضعها واتجاهها.

"فتبارك اللّه أحسن الخالقين. وسبحان من خلق فسوي وقدر فهدى"

عظماء المكفوفين

أنّ من يفقد السمع ناشئا يفقد أكرم ما يعتز الناس به، ويتفاضلون فيه :المعرفة الفاضلة، والتعبير باللفظ المبين، ولا تعدو الحياة عنده أن تكون معرضًا لأشتات من المشاهد والصور والألوان، لا يعرف لها معنى ولا يكتنهُ لها سرًا، ولا كذلك الذي يفقد البصر ناشئا مثله، فإن تحجب الحياة عن ناظريه رؤية وعيانا -لا تحجب عن أذنيهِ علمًا وذوقا، ولا تمتنع على خياله ألوانا وصورًا، بما ترفده به اللغة من مادة، وما تعرض عليه من تصنيع المبصرين، واللّه مؤتيه من بعد نصيبًا من الألمعية التي ينعم بها على جمهرة المبْصِرين، منة فاضلة، وعوضًا صالحًا، وبديلا مقاربًا، ثم هو فوق ذلك كله أحضر ذهنًا، وأجمع وعيًا، وأوسع استيعابًا، لا يصرفه شاغل من شواغل البصر عما يكون فيه من شأن، ولا ما يكون منه بسبيل.

ويحدث التاريخ في عصوره المتعاقبة عن مكفوفين كبار، استطاعوا بالجد الدائب والعزم الصادق، أن يبلغوا

مبلغ النابهين المقدمين من أعيان العلماء والأدباء، وأن يأتوا بمثل ما أتوا به من ثمرات العلم والأدب؛ بل ربما كان منهم من فاق أقرانه من المبصرين، وجاء من بينهم بأعجب الأعاجيب، لا يقعد به أو يرده عن مقام الصدارة أن كف بصره في عهد الصبا، أو مطلع الشباب.

ويذكر احد الباحثين ان ٢٠-٣٠٪ من حجم الدماغ مخصص أساسا للرؤيا ولكن عند المكفوفين منذ الولادة نجد ان هذه المساحة من الدماغ المرتبطة بالنظر لا تؤدي وضيفتها الطبيعية و تكاد تكون بطيئة النشاط جدا و لكن ظهر بعد ذلك ان هؤلاء المكفوفون يقومون باستغلال هذه المساحة من الدماغ للاحتياجات الاخرى و يظهر ذلك واضحا من خلال التجربة السابقة و كذلك مراقبة ذاكرة المكفوفين و كيف يصبح بامكانهم استغلال هذه المساحة من الدماغ التي نعتقد انها قد تعطلت ، و كيف اصبح بأمكانهم استغلال هذه المساحة المعطلة كما كنا نعتقد في ومجالات اخرة كالذاكرة تقوية و تطوير اللغة .

ان القوة التي توجد عند ذاكرة المكفوفين تكاد تجعلهم يرون الاشياء في ذاكرتهم.

خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام" .

نسبه عليه السلام :

هو (شعيب بن سيكيل بن يشجر بن مدين أحد أولاد إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والتسليم) وأمّه بنت لوط عليه السلام.

وكان خطيبا حسن البيان قويّ الحجّة، ويذكر المفسرون أنه خطيب الأنبياء، وروي في ذلك حديث عن الرسول صلى اللّه عليه وسلم، رواه ابن إسحاق عن ابن عباس.

وقد روى ابن إسحاق بن بشر عن ابن عباس قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا ذكر شعيبا قال: (ذاك خطيب الأنبياء)

وكان شعيب عليه السلام نبيا كفيفا، فقد أخرج ابن أبي حاتم والحاكم وصححه والخطيب وابن عساكر من طرق عن ابن عباس رضي اللّه عنهما في قوله (وإنا لنراك فينا ضعيفا) قال: كان ضرير البصر.

وقد ورد ذكر شعيب عليه السلام في القرآن عشر مرات.

وكان شعيب نبيا عربيا، ففي حديث أبي ذر الذي في صحيح ابن حبان في ذكر الأنبياء والرسل، قال :

"أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر "

وقد بعثه الله تعالى إلى مدين كما قال العلماء وهو ابن عشرين سنة.

وقد كانت بعثته بعد (لوط) لقوله تعالى في قصة قومه: ﴿ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ ، وقبل رسالة موسى لأن اللّه تعالى لما ذكر نوحا ثم هودا ثم صالحا ثم لوطا ثم شعيبا، أعقب ذلك بقوله (ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه) فدلّ على أنّ (شعيبا) كان من قبل زمن موسى وهرون عليهما السلام.

وكان أهل مدين قوما عربا يسكنون بلاد الحجاز، مما يلي جهة الشام ، قريبا من (خليج العقبة) من الجهة الشمالية منه، ويقول (الطبري) أن بين مصر وأرض مدين ثماني ليال، ويظهر أنها في الأرض المسماة الآن (معان) وهي جنوب فلسطين ،وأهل (مدين) ينسبون إلى أحد أولاد إبراهيم وهو (مدين ابن إبراهيم) وفي التوراة يسمى (مديان) وإنما سميت هذه القبيلة باسم (مدين) نسبة إليه حيث عاش بينهم وصاهرهم فصار له فيهم رهط وأسرة فسمّوا أهل مدين.

قصته مع قومه أهل مدين

وأهل مدين: قبيلة تنسب إلى مدين بن إبراهيم عليه السلام من زوجته (قطورة) التي تزوجها بعد موت سارة، ويسميه أهل الكتاب (مديان).

وكان أهل مدين أهل تجارة وزراعة، وكانوا أصحاب رفاهية ونعيم، وقد كانوا على دينهم الذي ورثوه عن إبراهيم، ولكنه لم يَطل بأهل مدين العهد حتى هجروا دينهم الذي كانوا ورثوه عن إبراهيم عليه السلام، ودخلت فيهم الوثنية فكفروا باللّه وعبدوا غيره، وانحرفوا عن الصراط السوي، فكان من سيئاتهم: أنهم يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ويعبدون الأيكة وهي شجرة من الأيك حولها غيضة ملتفة بها،وكانوا من أسوأ الناس معاملة، فكانوا يبخسون الناس أشياءهم، ويفسدون في الأرض ولا يصلحون.

فأرسل اللّه إليهم شعيبا رسولا منهم فدعاهم إلى اللّه بمثل دعوة الرسل، وأمرهم بالعدل، ونهاهم عن الظلم، وجاءهم ببينة من ربه، وذكرهم بنعمة اللّه عليهم، إذ كثرهم من قلة، وأغناهم من فقر، فآمن به قليل منهم وكذبه الأكثرون.

كما قال تعالى :

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ ﴿٨٥﴾ ﴾

حفل التاريخ الإسلامي بصفحات مضيئة لشخصيات عبقرية ابتليت بالاعاقة، لكنها أبدعت وتميزت عن غيرها ممن تمتعوا بحواسهم الكاملة وسنستعرض بعضا من هذه الشخصيات ممن فقدوا نعمة البصر :

ترجمان القرآن : عبدالله بن عباس

لقب بترجمان القرآن وحبر الأمة، وهو ابن عم الرسول الكريم ﷺ، ولد في مكة ولازم النبيﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وفقد بصره في الكبر، كان يعرف أن الله تعالى عوضه عن بصره خير العوض، لذا قال: إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مشهور وقد أضاءت هذه البصيرة النافذة صدره حين دعا له الرسول ﷺ وهو يضمه إلى صدره قائلا:

«اللهم علمه الكتاب»(صحيح البخاري).
وظل عبدالله بن عباس ينهل من العلم والحكمة والمعرفة، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستشيره في كل أمر ولقبه بـ «فتى الكهول»، وقال عنه ابن مسعود: ما رأيت مجلسا كان أجمع لكل خير من مجلس ابن عباس .. الحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر. لقد تحدى كل شيء وأبدع في العلم والفقه والرواية وعُمّر حتى توفي في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٦٨ هـ عن واحد وسبعين عاما .

الشهيد الأعمى.. عبدالله بن أم مكتوم

كان الرسول ﷺ كلما رآه يقول له: «مرحبا بمن عاتبني فيه ربي»! تحمّل الكثير من المشقة في سبيل إعلان دينه فهاجر مع مَنْ هاجر من مكة إلى المدينة ورغم فقده البصر شارك مشاركة فعلية في الدعوة الإسلامية، فحفظ القرآن الكريم وروى عن الرسول ﷺ الكثير من الأحاديث، وكان لجمال صوته يؤذن للصلاة مع بلال بن رباح.

أتى عبدالله يوما يريد سؤال الرسول ﷺ في مسألة دينية فأعرض عنه لانشغاله بسادة قريش فأصابه الهم والحزن لإعراض النبي ﷺ عنه، وهبط الوحي

بقوله تعالى :

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾

وهذا الموقف الذي جاء في هذه الآيات يدل دلالة عظيمة على مكانة هذا الصحابي الجليل عند الله تعالى... لقد عاتب الله نبيه الكريم ﷺ بسبب إعراضه عنه، ولهذا أرسل إليه واسترضاه وكان كلما رآه قال له: «مرحبا بمَن عاتبني فيه ربي، ألك حاجة نقضيها» ويقربه رسول الله ﷺ من نفسه لمنزلته عند الله ولعلمه وأدبه، لقد

استخلفه الرسول ﷺ على المدينة المنورة ثلاث عشرة مرة في أثناء الغزوات، كما استخلفه في حجة الوداع.
ولم يبال ابن أم مكتوم بفقد بصره، فأسرع ليشارك في معركة القادسية تحت قيادة سعد بن أبي وقاص، ويقف مستندا على ذراع أحد المسلمين ويعتلي ربوة عالية وهو يصيح: ادفعوا إلي اللواء فإني أعمى لا أستطيع أن أفر، وأقيموني بين الصفين، ويحاول المسلمون ثنيه عن عزمه وهو يصيح ويطالب باللواء حتى نال نعمة الشهادة في هذه المعركة.

عثمان بن مظعون.. المهاجر إلى الله
هو القائل: فإن تك عيني في رضا الله نالها يدا ملحدٍ في الدين ليس بمهتدي فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومَنْ يرضه الرحمن يا قوم يسعد حين أعلن عثمان بن مظعون إسلامه وأضاء القرآن الكريم قلبه ذاق من أذى المشركين ما لا يتحمله بشر، ولما أمره الرسول ﷺ بالهجرة مع مَن أسلموا إلى الحبشة هاجر، بعدها طلب أن يكون في حماية الوليد بن المغيرة من إيذاء المشركين، لكنه تراجع وآثر ألا يستجير إلا بالله سبحانه وتعالى رغم

إلحاح الوليد، وفقد عثمان إحدى عينيه في اشتباك فقال عندها: «إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز»، وراح يتغنى بشعره في محنة عينه، وتحمل إيذاء قريش بإيمان لا يلين ولا يهتز، وهاجر مع المهاجرين إلى المدينة ليبدأ حياة العبادة والزهد والجهاد في سبيل الله، ولما زادت آلام عينه وضعفت مقاومة جسده سقط ترفرف عليه راية الإيمان والصدق والإرادة، وأمر الرسول ﷺ بالصلاة عليه ليكون أول من يدفن في البقيع .

الترمذي.. من أصحاب السنن وعلماء الحديث

عالم جليل كفيف من أشهر الأئمة في علم الحديث، وهو من تلاميذ الإمام البخاري، واسمه محمد بن عيسى المولود سنة ٢٠٩ هـ بإحدى قرى خراسان والملقب بالترمذي وعرف عنه مقدرته الفائقة على الحفظ.

تنقل الترمذي في أرجاء البلاد طلبا للعلم، التقى بعلماء الحديث وحفظته المشهورين وتباحث معهم ليصبح خليفة البخاري في خراسان، وقد قيل عنه: «مات

البخاري فلم يخلف في خراسان بمثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد.

وقد ألف العديد من الكتب المتميزة في علم الحديث والتاريط والأدب، ومنها: أسماء الصحابة، التاريط، الجامع، الشمائل النبوية، الزهد، الأسماء والكنى.

رجال دين مكفوفين:

- عبد العزيز بن باز :عالم سعودي
- عمر عبد الرحمن : داعية إسلامي مصري
- عبد الحميد كشك : داعية إسلامي مصري

عقدة العمى وانطلاق الشعر:

إن كف البصر في حد ذاته يخلق مشكلة لصاحبه تتجسد به في حومة ركام من العقد النفسية والحسية لا يستطيع ان يتغلب عليها إلا كل مؤمن شجاع،وهي عند الذين ولدوا مكفوفين اشد منها عند اللذين ضروا وهم كبار، فالذين ضرو وهم كبار تكون الحياة في اذهانهم وعقولهم صور باقية يتحسسونها ويلتمسون منها الوحي الصادق الذقيق في اكثر الأحيان

ولقد عرف التاريط عددا من الشعراء العظماء المكفوفين:
فمن شعراء العرب المكفوفين :
السائب بن فروخ (المعروف بأبي العباس الأعمى) ومنهم بشار بن برد ومنهم ربيعة بن ثابت المعرف بربيعة الرقي ومنهم ابو العلاء احمد بن عبدالله المعري ومنهم الأعمى التطيلي (شاعر الوشاح الأندلسي) ومنهم من كف بصره في آخر حياته مثل حسان بن ثابت ومعن بن أوس وصالح بن عبد القدوس وكل هولاء من عباقرة شعراء العربية ومن الشعراء المكفوفين العالميين من غير العرب (الشاعر الإنجليزي ملتن) والشاعر اليوناني الذائع الشهرة (هوميروس) وهوميروس صح ان يكون معجزة الشعراء المكفوفين في تاريط العالم.

من تفاءل بالعمى:

قال رجل للقاسم بن محمد ـ وقد ذهب بصره ـ: لقد سُلبت أحسن وجهك. قال: صدقت، غير أني منعت النظر إلى ما يلهي، وعُوِّضْت الفكرة في العمل فيما يجدي.

وأنشد الجاحظ لابن عباس:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وسمعي منهما نور
قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخلج وفي فمي صارم كالسيف مأثورج

وقد أخذ هذا المعنى الخريمي فقال:

فإن يك عيني خبا نورها ..... فكم قبلها نور عين خبا
فلم يعم قلبي ولكنما..... أرى نور عيني لقلبي سعى.

وقال أبو علي البصير – أعمى :

لئن كان يهديني الغلام لوجهتي ويقتادني في السير إذ أنا راكب
فقد يستضيء القوم بي في أمورهم ويخبو ضياء العين والرأي ثاقب

وقال عز الدين أحمد بن عبد الدائم :

إن يذهب الله من عيني نورهما فإن قلبي بصير ما به ضرر
أرى بقلبي دنياي وآخرتي والقلب يدرك ما لا يدرك البصر

وقد أنشد علي بن عبد الغني الحصري لنفسه :

وقالوا قد عميت فقلت: كلا وإني اليوم أبصر من بصيرج
سواد العين زاد سواد قلبي ج ليجتمعا على فهم الأمور

عظماء خلدهم التاريخ من المكفوفين :

لويس برايل «١٨٠٩ ـ ١٨٥٢» المولود باحدى ضواحى باريس وحرم من نعمة البصر وهو فى الثالثة .. وكان له سبق اختراع طريقة سهلة للقراءة والكتابة للمكفوفين عرفت باسم طريقة «برايل» .. وأيضا طور طابعة عرفت قبل الآلة الكاتبة بخمسين عاما.. وبذلك أضاء الطريق للملايين.

وهناك العبقرية الفذة الانجليزية هيلين كيلر «١٨٨٠ ـ ١٩٦٨» والتى ولدت صماء كفيفة وتعد أحد رموز الإرادة الانسانية.. وحصلت على دكتوراه فى العلوم ودكتوراه فى الفلسفة.. ومن مؤلفاتها «أضواء فى ظلامى» .. وكتاب «قصة حياتى» . أيضا عميد الأدب العربى د. طه حسين «١٨٨٩ ـ ١٩٧٣» .. أحد كبار المفكرين العرب والذى فقد بصره فى الطفولة ورغم هذا دخل الأزهر ودرس بجامعة السوربون وأصبح وزير للتعليم عام ١٩٥٠

ومن مؤلفاته الشهيرة الأيام ودعاء الكروان وحديث الاربعاء وفى الأدب الجاهلى.

والمدهش أن هناك فنانون وفنانات من المكفوفين.. صورو الحياة بالألوان ومنهم أيضا من شكل أعمالا نحتية تؤكد قوة الموهبة وأناقة الأداء وجمال التعبير ، ونذكر منهم :

أسريف التركي

يعد الفنان أسريف اربجان علامة على العبقرية الانسانية .. وقد ادهش علماء أوروبا وأمريكا .. والسبب عجيب .. فهذا الفنان لم ير النور فى حياته فقد ولد كفيفا .. وأكد الطب ذلك.. ورغم هذا يرسم بعقله وقلبه واحساسه ومشاعره لوحات رائعة تجمع بين الواقعية والتعبيرية .. صور فيها الحياة فى تخيلات بديعة للمسات تتميز بتناسق الألوان ودنيا التفاصيل الصغيرة والالتزام بالمنظور . يقول عنه البروفسير كنيدى بجامعة تورنيتو : اسريف شخص مهم فى تاريط الصورة وتاريط المعرفة وأعماله الفنية تستحق الاهتمام

والتقدير والدراسة والتأمل .. وهى غير مسبوقة فى تاريط الفن.

ومن بين لوحات اسريف: صور عالم البحار وسمكة تقوم بالعزف على الكمان وسط مجموعة من الاسماك.. كما صور فى لوحة طواحين الهواء وطريق ممتد بلا نهاية وعلى جانبه خضرة يانعة .. وهى تتألق بالاخضر والأحمر الوردى والاصفر الهادىء .. وفى لوحة اخرى صور اشجارا خضراء مزهرة ومياها لنهر هادىء بأزرق سماوى وفى مقدمة اللوحة رجل وسط كل تلك الغنائيات التى تجود بها الطبيعة.

ولأسريف لوحة لطبيعة صامتة جاءت تشدو بطزاجة الفواكه من البطيط والعنب الأحمر والأسود والكمثرى والتفاح والكريز على طبق أبيض مشوب بالزرقة.

ومن أمريكا هناك الفنانة بربارا رومان من لوس انجلوس .. وقد اصيبت فى الشبكية وتدهورت رؤيتها منذ عام ١٩٨٤ إلا أنها ترسم حاليا برؤية داخلية وقد درست الفن فى اكاديمية الفنون بفلادلفيا واكاديمية الفن والتصميم بلوس انجلوس.

تقول : «أنا فى رسومى انقل تفكيرى ولغتى التعبيرية بتأن شديد.. وقد أصبحت ألوانى متطورة فى توافق وانسجام .. هذا ما يقوله من يرى لوحاتى .. وهى ليست مستلهمة من الإبصار بل من البصيرة .. مستلهمة بما اسمع وأتذكر واتخيل.

وبربارا تستمع إلى الموسيقى اثناء ممارستها للفن تأكيدا على تعبير :العين تسمع والأذن ترى.

أما دون لورا فهو نحات فقد بصره وعمره ٣٧ عاما ومنذ هذا التاريط درس فن النحت بمتحف فلادلفيا للفنون .. وهو سعيد بعالم التشكيل الذى يجعله دائما فى رضا عن نفسه كما يسعد به الآخرون من حوله .. ولغتة الفنية تجسد فى لمسات تعبيرية شخوصا وصورا من الحياة

- ولاشك أن أعمال كارميللو بنيللو تمثل صورة حية للحدائق وحياة البشر وحركة البشر بالمدن وأعماله عموما تتكرر فيها الدوائر التى ترمز الى حدقة العين خاصة وقد اصيب كارميللو فى الحدقة التى حرمته من البصر .. وأعماله يغلب عليها الاصفر المضىء والبيج والأسود.

- اما إميلى اسكواز فقد اصيبت بصدمة أثرت على رؤيتها وافقدتها البصر وكانت ترسم بالألوان المائية لكنها انتقلت الى الرسم بالزيت حيث تجد متعة أكثر من خلال التعبيرات الذاتية التي تقدمها .. وهى تقول : أننى أشعر أن الألوان أكثر تألقا واجد سهولة فى التعامل معها.
- وتشكل انديرا ميلوك العديد من التماثيل .. فقد أصبح النحت بغيتها وطريقها فى الحياة بعد أن اصيبت فى حادث عام ١٩٨٥ اثر على رؤيتها تأثيرا كبيرا وحادا وافقدها البصر فى النهاية .. وهى تشير إلى أن التشكيل يجلب لها السعادة والجوائزحيث تشارك فى العديد من المعارض الجماعية.. ومن أعمالها «تمثال الصرخة.
- أما لافيراد ديجينز فتقول : أنا أشكر اللّه على منحة الفن التى اعطاها لى لأكثر من ٢٠ عاما وأصلى له دائما على أننى قادرة على الاستمرار فيه بقدر مايسمح لى وما يمنحه لى من قدرات.
- وقد فقدت مارسيا اسبرنج نظرها منذ مولدها وهى تعمل فى مجال الخزف بعد أن درست بجامعة

النهاية

ان هذا الكتاب هو بداية تستنهض الهمم لمزيد من الدراسة في الأعجاز العلمي في القرآن الكريم وصدق اللّه العظيم القائل :

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾

فصلت ٥٣ .